تقديم

لأن مصر هي الهدف الرئيسي ، لذا أولتها قيادة الحركة الصهيونية جُل اهتمامها ؛ ومن هنا لم يكن مستهجنًا أن يمتلك «الشاي» ـ جهاز المخابرات الصهيوني قبل قيام إسرائيل ـ ثالث أقوى فرع له في مصر ، بعد فلسطين نفسها ، والاتحاد السوفييت ؛ في محاولة لتوفير شروط النجاح للمشروع الصهيوني العتيد : «من النيل إلى الفرات أرضك يا إسرائيل! » .

من هنا كان العزيز / فتحي عبد العليم موفقًا في اختيار «النشاط الصهيوني في مصر» موضوعًا لكتابه هذا .

لقد أجاد عبد العليم تنسيق كتابه هذا ، ووُفق في تتبع «نشأة ووجود الطائفة اليهودية» ، في الفصل الأول ؛ ونفوذ اليهود الاقتصادي في مصر في الفصل الثاني ؛ الذي تأسس عليه نفوذهم السياسي ، وخصص له المؤلف الفصل الثالث ؛ لينتقل إلى حضور اليهود في الصحافة والإعلام في مصر ، حسب الفصل الرابع . قبل دورهم في الفن والثقافة ، في الفصل الخامس ؛ وقد توَّج هذا كله بالنشاط الصهيوني في مصر ، الذي تولاه الفصل السادس ، قبل الحديث عن «الفيلق اليهودي» ، في الفصل السابع ؛ واللغط الذي دار ، ولا يزال يدور حول موقع اليهود في التنظيمات اليسارية المصرية . ليختتم باستنتاجات عامة .

انتقد الفصل الثاني المرجع المهم للمرحوم أنس مصطفى كامل «الرأسمالية اليهودية في مصر » القاهرة : دار ميريت للنشر ، ١٩٩٩م .

فضلاً عن ملاحظة أخرى عامة عن الفصل الثامن ، وفيه تنازع المؤلف منهجان ؛ أولهما يساوي بين الصهيونية واليهودية ، وبالتالي بين الصهاينة واليهود ؛ فيما يفرِّق المنهج الثاني بين الصهيونية ، كحركة استعمارية ، وبين اليهودية كدين ، وبالتالي لا يضع كل يهود العالم في سلَّة الصهيونية . وقد ترتب على تلك الازدواجية سلبيات في الاستنتاجات ، وفي التحليل ؛ كأن يشكك العزيز فتحي بسفريات شارلوت ، ابنة جوزيف روزنتال ، المتكررة إلى فلسطين . ولم يلاحظ المؤلف بأن شارلوت هي زوجة من تولى قيادة «الحزب الشيوعي المصري» ، بعد ضرب حكومة الوفد للحزب ، سنة ١٩٢٤ ، وجاء أفيجدور من «الحزب الشيوعي الفلسطيني» للقيام بهذه المهمة .

كما كان المؤلف حنونًا مع حكومة أحمد زيوار باشا، التي أوفدت أحمد لطفي السيد إلى القدس ١٩٢٤ ، لحضور حفل افتتاح «الجامعة العبرية» ، نيابة عن رئيس الوزراء المصري ، آنذاك ، زيوار باشا . تأتي إلى من حاول المزاوجة بين الصهيونية والشيوعية ، بينما اعتبر لينين الأول «مرجعية في المطلق» ، وبذل خلفه ستالين جهودًا صادقة لإحباط المشروع الصهيوني برمته ، حين خصص الزعيم السوفييتي ستالين جمهورية بيرد بين جان جمهورية لليهود الروس ، ولطالما اتهمته الصهيونية بمعاداة السامية!

في فلسطين طرد الصهاينة العمال الشيوعيين اليهود من «الهستدروت» (اتحاد العمال اليهود) من صفوفه ، وفي مصر وقف إسماعيل صدقي باشا إلى جانب الصهاينة ، ظالمين أو مظلومين ، كيف لا ، وقد عينوه عضوًا في مجالس إدارته اثنتي عشرة شركة صهيونية في مصر . وصدقي الطاغية ، المعادي للديمقراطية ، والشرس في مقاومة الشيوعية ، وفي قيادة السراي والمحتل الإنجليزي .

ثم من منا ـ نحن الكهول ـ يمكنه أن ينسى ذلك الكاتب المصري الشهير ، الذي دأب على الحدود بين الصهيونية والشيوعية ، وهو العبوس ، الذي يعقِّد كل أمر بسيط . وحين هاتفه الصحفي المصري المعروف سعد زغلول فؤاد ، خريف ١٩٥١ ، مدعيًا بأنه صحفي أمريكي ، وحين التقيا ، زعم فؤاد بأنه مندوب للمخابرات المركزية الأمريكية ، فتهلل العبوس ، وزاد ترحيبه بضيفه ، وإن حمَّله خطابًا للمخابرات المركزية الأمريكية ، التي تصرف مكافأة أكبر لأحد أساتذة الجامعة الأمريكية (أ.ب.) ، مما تصرفه للمضيف ، الذي وعد ـ مع هذا كله ـ بأن يضاعف جهوده ضد الشيوعية والشيوعيين ، طوال حياته . ونُشر حديث أخينا في أسبوعية «الجمهور المصري» القاهرية ، وكانت فضيحة !

وبعد ، فإن العزيز فتحي يستحق التحية على كتابه هذا ، الذي يعد ـ بحق ـ إضافة إلى المكتبة السياسية العربية .

عبد القادر ياسين

القاهرة في

٢٤/ ١٠/ ٢٠١٠م

مقدمة

من الأمور البديهية أنه لم يأت قيام إسرائيل في قلب المنطقة العربية والمشرق الإسلامي من فراغ أو هدية من السماء لأبناء صهيون، أو تحقيقا لنبوءة توراتية في كتابهم المقدس ولكنها جاءت كثمرة ومحصلة نهائية لمشروع وتحقيق وإنجاز لرؤية سياسية، وتحويل لحلم وأسطورة إلى واقع صلد غير قابل للكسر أو الاختراق، لأجل غير معلوم في مقابل أمة مجردة من المشروع أو الرؤية.

وإذا كانت الصهيونية هي الأداة المؤسسية والتنظيمية في تنفيذ ذلك المشروع، وهي الذراع الحركية المنوط بها الفعل الإيجابي والمؤثر، والذي ينتج عنه إفراز معطيات واقعية، وتكريس حقائق استراتيجية على الأرض، وإذا كان تشرشل قد قال يوماً « الحقائق الإستراتيجية يحتاج تكريسها إلى مجموعة من الأكاذيب»، فإننا لن ننظر إلى الأكاذيب، و في ذلك أمرهم المعهود، ولكن الأجدر هو النظر إلى الفعل الصهيوني، والذي أمتد على مسرح واسع وساحة عريضة بالقياس الجغرافي واستغرق نصف قرن بالقياس الزمني والتاريخي منذ البداية الرسمية في بازل بسويسرا عن عام ١٨٩٧م وحتى إعلان قيام الدولة اليهودية في ١٤ مايو عام ١٩٤٨م، وقبل البداية الرسمية، كان هناك عقود عديدة من الجهود والأنشطة المستترة للصهيونية وإذا كان إعلان قيام إسرائيل يمثل كارثة قومية وتاريخية للعرب والمسلمين ونقطة تحول عميقة في مجرى حياتهم المعاصرة. ويوم له ما بعده في تاريخهم ففي المقابل كان هذا الإعلان أكبر انتصار لليهود في تاريخهم التعيس، استطاعوا به إجراء أكبر عملية استبدال للدياسبورا، فقد تم التبديل والتغيير من

الشتات اليهودي المعروف إلى التيه والشتات العربي الغير معروف والذي لم يألفوه من قبل وبمقتضى ذلك ، وصل الصهاينة وجموع اليهود إلى بر آمن بينما ألقوا بالعرب جميعاً وفي القلب منهم جموع الفلسطينيين في (بحر الظلمات) واستطاعت الصهيونية أن تتعامل بمهارة ودهاء وصبر دءوب مع كل الأطراف، مع الغرب العملاق، والقوى الدولية الفاعلة فيه ، ومع العرب المساكين ، ومع اليهود أنفسهم لقد كانت خلال مسيرتها وفي سعيها الطويل لإنجاز مشروعها تضرب على الأوتار الحساسة في العقل والوجدان اليهودي والغربي على السواء، وتوظيف ذلك سياسيا إلى أبعد مدى وليس أدل على ذلك من الأبيات التي كتبها الشاعر البريطاني «اللورد بايرون» في مجموعة قصائده المعروفة والتي تسمى الأغاني العبرية ومنها قصيدته المعبرة والتي تقول :

لليمامة عشها وللثعلب كهفه

ولكل شعب أرضه إلا اليهودي

فليس عنده، غير قبره

هذا هو وجدان اليهودي ، حيث الاغتراب والبؤس النفسي ، وفقدان الكيان وعدم وجود أرض أو وطن يأويهم ومن هنا جاء بناء وتراكم المسألة اليهودية فهناك شعب بلا أرض ، يتعرض للاضطهاد والمذابح وتحيط به الكراهية الاجتماعية وسط المجتمعات الغربية الأمر اللافت للنظر أن هذه الأوضاع البائسة ليهود الغرب ، كانت تختلف تماماً عن حياة وظروف يهود الشرق فلم تكن هناك «مسألة يهودية » في المجتمعات العربية والإسلامية ولم يكن هناك «جيتو» يهودي وسط الشعوب العربية والإسلامية . وحارة اليهود ، كانت مجرد تجمع لأصحاب مهن وحرف معينة، إذن لم تكن هناك مسألة يهودية أو «جيتو» أو «مذابح» ، «بوجروم» على النمط الروسي أو البولندي ، على العكس كان هناك اندماج وعلاقات مفتوحة

لليهود مع كافة فئات المجتمع وعلى كل المستويات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، بداية من المتجر والشارع وانتهاء بقصر الحاكم ومبنى البرلمان. بناءً على هذه المعطيات والحقائق التاريخية التي لا تقبل الجدل ولا ينكرها إلا أهل الجحود، كان من المنطق أن يقف يهود الشرق وخصوصاً يهود مصر على أرض محايدة أو يتبعوا مبدأ «الحياد السويسري» المعروف، ولكن هذا لم يحدث بل كانت هناك استجابات قوية ومؤازرة عالية المستوى للمشروع الصهيوني ونتيجة لظروف وعوامل عديدة صارت مصر ملعباً مفتوحاً للنشاط الصهيوني منذ الإرهاصات الأولى للفكر والمشروع الصهيوني وحتى قبل البداية الرسمية له في بازل عام ١٨٩٧م. وإذا كان المشروع الصهيوني بحكم النشأة وبطبائع الأشياء، قد تم صياغته وهيكلته في «المتروبول» الاستعماري الغربي، وعواصم القرار الدولي إلا أن هذا المشروع كان له محطاته الإقليمية الهامة، وأهمها «محطة مصر» بالمعنى السياسي والاستراتيجي والتكتيكي وكانت مصر دوماً في بؤرة الاهتمام الصهيوني، وذلك لقربها الجغرافي من «الأرض الموعودة»، ووجود طائفة يهودية قوية وغنية وتملك الكثير من الموارد والنفوذ وهي بمثابة قاعدة استراتيجية للنشاط والحركة، يضاف إلى ذلك أن مصر هي أكبر دولة عربية، وهي أكبر قوة إقليمية ومحورية في المنطقة لذلك فقد ذكر من جورين فيما بعد في كتابة «إسرائيل في سنوات التحدي» : «أن إسرائيل لا تحسب حساباً لدولة عربية إلا مصر؛ لأنها الدولة العربية الوحيدة التي لها جيش منظم». وهذا القول يبين مدى ماربحته إسرائيل من اتفاقها السياسي مع مصر في السبعينيات، ولكن في المقابل فإن موقف مصر من إسرائيل منذ بدايته لم يكن موقفا جادا وهي لم تستطع أن تقضي على إسرائيل وهي وليدة ضعيفة، فكيف الآن وقد استعصت وتعملقت، ما يهمنا في هذا الأمر هو هذا الموقف غير الجاد من مشروع إقامة الدولة الصهيونية هل هو مجرد ادعاء أو اتهام لمصر، أم أن الحقائق

والمعطيات السياسية في ذلك العهد كانت ناطقة بذلك وهل هذه الوقائع والمعطيات تمثل حكم إدانة لعهد بأكمله كنظام سياسي وقوى فاعلة ورموز فكرية وثقافية وسياسية أم لا؟ وهل مصر انفردت وحدها بهذه الظروف أو المواقف، أم أن (الكل في الهم شرك)؟ وإذا كانت مصر تكفلت بحساب نفسها قبل أن يحاسبها الآخرون وسقط نظام سياسي بأكمله ، وانتهى عهد وأسرة مالكة حكمت مصر ما يقرب من قرن ونصف ، فليس من شيم الأمم والشعوب العريقة أن تكرر أخطاءها. إن قصة الأمس التي سيتولى هذا الكتاب تقليب وفرد صفحاتها هي نفسها قصة اليوم وبالتالي يتحدد الهدف والغرض من البحث والتحليل وهو تقديم «جرس إنذار» و «دق ناقوس» خطر، لعل السكارى والغافلون ، ومن أمعنوا التطبيع وسهلوا اختراق مجتمعاتهم أن ينتبهوا أو يتماثلوا للشفاء من أمراضهم قبل حلول الكوارث ونزول النوازل.

إن هذا الكتاب ، يمثل مساهمة متواضعة فى معركة الرشد العربى ، من أجل استعادة الوعى والإرادة ، وبدونها لا يمكن دخول أى معركة أو الصمود أو النصر فيها . وإذا كانت الحكمة المتداولة تقول : « التجربة خير معلم » ، فعلينا أن نتعلم من تجاربنا . وإذا كان القول المأثور للنبى (صلى الله عليه وسلم) : « لا يلدغ مؤمن من جحر مرتين » ، فما أحرانا أن نكتفى من اللدغات ، وما أحرانا أن نكون مؤمنين .

فتحى أحمد عبد العليم